

القول المسجوع مَصُوغَةٌ في شكل شروط أربعة، الشرط الأول منها يتصل بعملية الاختيار، والأساس فيها عنده "أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة حادة طنانة رنانة، لا غثة ولا باردة"^(١)، ويقصد بقوله (غثة - باردة) "أن صاحبها يصرف نظره إلى السجع نفسه من غير نظر إلى مفردات الألفاظ المسجوعة، وما يشترط لها من الحسن"^(٢). وقد تعارفَ البلاغيون المتأخرون من أمثال "الخطيب القزويني" (ت ٧٤٩هـ)، والشيخ "سعد الدين التفتازاني" (ت ٧٩٢هـ) على أن حسن المفرد - بمعنى أدق - فصاحته^(٣)، يأتي من خلوه من عيوب أربعة هي: (تنافر الحروف - الغرابة - مخالفة القياس اللغوي - الكراهة في السمع)^(٤).

أما الشرط الثاني الذي ذكره "ابن الأثير" لجودة السجع فيتحقق في السياق، فلوصول إلى سجع جيد ينبغي أن يتم التركيب باتباع الخطوات التي أوضحها - من بعد - "الدسوقي"، حيث يلزم ملاحظة المعاني مع ما يقتضيه الحال من تقديم أو تأخير أو حصر أو غير ذلك، فإذا أتى بالمحسنات اللفظية بعد ذلك يكون تمام الحسن، وإن لم يؤت بها كفت النكات المعنوية^(٥). وقد حكى الجاحظ عن "بشر بن المعتمر" أنه قال في وصيته في البلاغة: "إذا لم تجد اللفظة واقعة موقعها، ولا صائرة إلى مستقرها، ولا حالة في مركزها؛ بل وجدتها قلقة في مكانها، نافرة من موضعها فلا تكررهما على القرار في غير موطنها. فإنك إذا لم تتعاط قريض الشعر الموزون، ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور، لم يُعَبِّك بترك ذلك أحد. وإذا أنت تكلفتها ولم تكن حاذقاً فيهما عابك من أنت أقل عيباً منه،

(١) المثل السائر، ابن الأثير، ج ١، ص ١٩٧.

(٢) المثل السائر، ابن الأثير، ج ١، ص ١٩٧.

(٣) اختصر "التهانوي" كلام "ابن الأثير" حول ما ينبغي للسجع من شروط الحسن، وبالأخص فيما يتصل بعملية الاختيار، قال إن أهم تلك الشروط هو (اختيار المفردات الفصيحة، واختيار التأليف الفصيح). انظر: كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، م ٢، ص ٦٧١.

(٤) انظر: شروح التلخيص، ج ١، ص ٧٦ - ٧٧.

(٥) انظر: حاشية الدسوقي، على شرح العلامة سعد الدين التفتازاني على متن شروح التلخيص، الشيخ محمد بن عرفة الدسوقي، ج ٤، ص ٤٦٩.